قصيدتان في المقصور والممدود لابن دريد وشرحهما دراسة لغوية مقارنة

المدرس الدكتور
سليمة جبار غانم
جامعة البصرة – كلية التربية

الملخص :

يتناول البحث قصيدتين مشهورتين لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) في المقصور والممدود ويحاول الكشف عن الجهد اللغوي لابن دريد فيما يتعلق بالمفردة العربية بناءً ودلالة من خلال ظاهرة (القصر والمد) التي ألف فيها الكثير من اللغويين العرب . وهاتان القصيدتان لابن دريد يبلغ عدد احداهما واحداً وثلاثين بيتاً ومئتين (٢٣١ بيتاً) وصفت بانها " القصيدة الشاعرة المختارة ... " وقد شرحها ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) في كتابه (شرح مقصورة ابن دريد) بتحقيق ودراسة د. محمود جاسم الدرويش . اما القصيدة الاخرى فعدد أبياتها أربعة وخمسون بيتاً (٥٤ بيتاً) شرحها ابو بكر الانباري (ت ٣٢٨ هـ) في كتابه (غاية المقصود في المقصور والممدود) بتحقيق الاستاذ هلال ناجي – رحمه الله – وسيعرض البحث أمثلة من المقصور والممدود من هاتين القصيدتين مع المقارنة بين شرحيهما لغة وشواهد فيما كان مشتركاً بينهما من المفردات . نسأل الله التوفيق خدمة للغتنا لغة القرآن الكريم ، وتراثنا اللغوي الأصيل .

Abstract

The research parake of two famous poems for Ebn – Dourad (died in 321 H.) in (AL – Maksor and AL – Mamdod) and it try to discovering the linguistic effort of setracture and indicative for Arabic semantic words in these poems . the number of one of these poems has (231 lins) and ithad been explaining by (Eben – Khalawayh) (died in 370 H.) while the other poeme has (54 lines) and had been explaining by (AL – Anbary) died in (328 H.) and research show examples … for these two poems with a com partion between their explaining throughout their … with the subscriber amangst them in words .

" قصيدتان في المقصور والممدود لابن دريد وشرحهما "
دراسة لغوية مقارنة

يعد ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هـ) علماً بارزاً من اعلام العربية ، له مؤلفات في اللغة والأدب ، فله (الجمهرة) نمط من التأليف المعجمي العربي ، وله ديوان شعر مطبوع ، ووقف عند جوانب من جهدة اللغوي بعض الباحثين [١] . وهذا البحث محاولة للكشف عن جهد ابن دريد فيما يتعلق بالمفردة بناءً ودلالةً من خلال ظاهرة (القصر والمد) التي الف فيها كثير من اللغويين العرب كالفراء (ت ٢٠٧ هـ) ونفطويه (ت ٣٢٣ هـ) ، وأبي الطيب الوشاء (ت ٣٢٥ هـ) ، وأبي عمر الزاهد (ت ٣٤٥ هـ) ، وابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) ، وغيرهم [٢] .

ولابن دريد قصيدتان مشهورتان في المقصور والممدود ، وُصفت احداهما بأنها : " القصيدة الشاعرة المختارة ، والكلمة المُخزية من جميع المقصورات " [٣] ووصفت بذلك لأنها: " كانت نهاية في الحسن ، يقول سامعها : اخزى الله قائلها ما اشعره "[٤] . ويبلغ عدد أبياتها واحداً وثلاثين بيتاً ومئتين (٢٣١ بيتاً) ، وقد شرح ابن خالويه [*] (ت ٣٧٠ هـ) هذه القصيدة شرحاً وافياً في كتابه (شرح مقصورة ابن دريد) ، الذي حققه ودرسه الدكتور محمود جاسم الدرويش ، اما القصيدة الأخرى فقد ضمّها كتاب (غاية المقصود في المقصور والممدود) وعدد أبياتها أربعة وخمسون بيتاً (٥٤ بيتاً) [٥] شرحها ابو بكر الانباري (ت ٣٢٨ هـ) وحققه الاستاذ هلال ناجي - رحمه الله - ، وكان شرح الانباري موجزاً – غالباً – كما انه أحياناً – لا يتعرض لشرح بعض الابيات او يذكر الخلاف في حركة فاء الكلمة وقصرها ومدّها دون الاشارة الى اختلاف الدلالة – كما سيتبين في هذا البحث – والسؤال أي القصيدتين أسبق تأليفاً؟ وليس بين ايدينا ما يثبت الأسبقية ، غير ان المرجّح ان قصيدته ذات الأبيات الأربعة والخمسين أسبق تأليفاً من الأخرى ، ويُعد شرحها من أقدم النصوص في موضوع (المقصور والممدود)، يقول الاستاذ هلال ناجي : " والنص الذي ننشره اليوم من أقدم النصوص في موضوعه ، ليس يسبقه – فيما نُشر – غير نص الفرّاء " [٦] وهذه القصيدة يضم كل بيت فيها كلمة في حالتي القصر والمد ، في حين كانت القصيدة الأخرى في المقصور فقط ، غير ان الشارح (ابن خالويه) يذكر الكلمة المقصورة ودلالتها ، واختلاف هذه الدلالة – او عدم اختلافها – في حالة المد . وسيعرض البحث أمثلة من المقصور والممدود – لمفردات بعينها – مع المقارنة بين شرحي القصيدتين لغة وشواهد وغير ذلك فيما كان مشتركاً بين القصيدتين من المفردات ، ومنهجنا في ذلك البدء ببيت لابن دريد من قصيدته القصيرة (ذات الأبيات الاربعة والخمسين) وشرحه ، ثم ببيت من قصيدته الطويلة المقصورة وشرحه ، وكما يأتي :

البرى والبراء :

قال ابن دريد :

يا أبن البرى أنّ الأحبْـ بة يؤذنونـك بالبَـراء (٧)

وقد شرحه الأنباري قائلاً : " البرى مقصور : التراب ، والبراء ممدود : مصدر من المباراة ، لا يُثنى ولا يُجمع " (٨) .

قال ابن دريد في قصيدته المقصورة :

هُم الألى ان فاخروا قال العُلى بفي أمريء فاخركم عفرُ البرى (٩)

وشرحه ابن خالويه فقال في (البرى) : " والبرى الترب أيضاً ، فاذا مددت فقلت : البراء : فهو آخر ليلة في الشهر " (١٠) . فقد اختلف الشارحان في (البراء) وهذا يُعدّ مـن (المشترك اللفظيّ) ، فالمفردة لا تتبين دلالتها بدقة الا في السياق ، وقول ابن خالويه في (البراء): " آخر ليلة في الشهر " لا يفرضه السياق ، وانما هو واحد من معاني هذه المفردة ، في حين كان قول الأنباري موضحاً لدلالتها في السياق .

البُنـى والبنـاء :

قال ابن دريد :

ولربمـا هجر البُنـى بعد التأنـق في البنـاء (١١)

وشرحه الانباري (١٢) " البُنى مقصور : جمع بُنية يكتب بالياء ، والبناء ممدود من البُنيان . قال عز وجل : {**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء ...**}(١٣) . وقد وردت (البُنى) في مقصورة ابن دريد ، قال :

ينوي التي فضّلها ربُ العُلى لما دحا تُربتها على البُنى (١٤)

وفيها يقول ابن خالويه : " يعني بالبُنى : مكة .... ويُروى: البُنى والبنى ، فمن ضمّ فهو جمع بُنية ، ومن كسر فهو جمع بِنية ، وهما مقصوران يكتبان بالياء ، فأما البناء بالمد ، فمصدر بنيت بناء " (١٥) . فالأنباري في شرحه لـ (البُنى) لم يذكر ما روي في هذه المفردة من اختلاف في حركة الفاء ، وهو مجيؤها بالكسر وبالضم اعتماداً على حركة فائها في المفردة :

(المفردة) بُنية – بالضم ←——— (الجمع) بُنى – بالضم –

(المفردة) بنية – بالكسر ←——— (الجمع) بِنى – بالكسر –

وهذا أشار اليه ابن خالويه بعد ان ذكر ما تعنيه (البُنى) – بالضم – وهو : مكة .

الثرى والثّراء :

قال ابن دريد :

يوماً تصيرُ الى الثــرى ويفوز غيرك بالثراء (١٦)

وفيه يقول الأنباري : " الثرى ينقسم على وجهين ، فالثراء ممدود : كثرة المال ، والثرى مقصور : التراب يكتب بالياء " (١٧) . ووردت (الثرى) في المقصورة ، قال ابن دريد :

وآضَ روضُ اللهو يبسا ذاوياً من بعدِ ما قد كان مجّاج الثرى (١٨)

وشرحها ابن خالويه شرحاً مفصلاً معززاً بالشواهد الشعرية وبالأمثال فقال (١٩) : "والثرى التراب الندىّ ، يكتب بالياء ، يُقال : ثريت الأرض إذا نديتْ ، والتثنية : ثريان وثروان ، والجمع أثراء ، والثرى : التراب غير الندىّ ، أيضاً ، والعرب تقول : (التقى الثريان) يعنون كثرة المطر التقى ماء السماء مع ماء الأرض ... والعرب تقول : (شهر ثريّ) أي :

مَطِر ... فأما (الثراء) بالمد : فكثرة المال ، وأنشد لحاتم الطائي (٢٠) :

وقد عَلِمَ الأقوامُ لو أنّ حاتماً أراد ثراء المال كان له وفرْ

وما أشار اليه الأنباري في شرحه لـ (الثرى) بأنه ينقسم على وجهين ، الثراء : كثرة المال ، والثرى : التراب ، ليس مناسباً ، لان الكلمتين مختلفتان بناءً ودلالة ، ولو كان الوجهان بحسب ما ذكرهما ابن خالويه لكان أنسب ، فقد ذكرهما ابن خالويه باختلاف الدلالة ، الثرى: التراب الندىّ ، وغير الندىّ أيضاً ، وهذا ينتمي الى التضاد او الأضداد (لفظ واحد يدل على معنيين أحدهما ضد الآخر) ولم أجد هذين المعنيين المتضادين فيما توفر لي من مصادر ومراجع في هذا الباب (٢١) .

الجدى والجداء :

قال ابن دريد :

وأهــربْ فديتك من جَــــدَى من أنت منه فـي جـــــداء (٢٢)

قال الأنباريّ : " الجدي مقصور : العطاء ، والجداء ممدود : الغنى " (٢٣) .

وقال ابن دريد في المقصورة :

ذاك الجدى لا زال مخصوما به قومٌ همُ للأرض غيثُ وجدى (٢٤)

وقال ابن خالويه شارحاً " الجدى : العطية ، ...والجدى: المطر العام الكثير الذي يُغني عن معاودته ، وهو مقصور ، ويقول آخرون : بل هو ممدود ، وقصره في الشعر ، ويكتب بالالف لأن الفعل واو ، نحو:

الجدوى ، فأما فلان قليل الجداء عنك ، أي قليل الغناء ،فممدودان ، وأما الجداء – بكسر الجيم – فجمع جدي ، مثل ظباء وظبي ، فبالمد والالف ، وهذا في الكثير ، فأما في القليل فتقول فيه : أجْدٍ ، وجمع أجْدٍ ، جِداء ، والجداء أعني الغَناء لا يُثنى ولا يجمع لأنه مصدر ..." (٢٥) .

نجد بين الشرحين لـ (الجدى والجداء) تشابهاً في الدلالة الاساسية او المركزية ، غير أن شرح ابن خالويه كان أكثر تفصيلاً ، كما نوّه الى اختلاف حركة الجيم في (الجداء) الأمر الذي أثر في دلالتها .

الجَوى والجِواء :

قال ابن دريد :

كم قد طويتُ علـى الجـوى قلبي لسُكّان الجّـــِواء

وقال الأنباري : " الجوى مقصور بفتح الجيم : فساد الجوف . يُقال قد جوى الرجل يجوي جوى بالياء . والجواء ممدود بكسر الجيم : اسم موضع" (٢٧) .

ووردت كلمة (الجوى) في بيتين من مقصورة ابن دريد ، فأما البيت الأول فهو المرقم (٣) قال فيه :

وغاض ماء شِرتي دهرُ رمى خواطر القلب بتبريح الجوى (٢٨)

وشرحها ابن خالويه قائلاً : " والجوى : داء يكون في القلب ، وهو مصدر جوى يجوي جوى ، والجوى تكتبه بالياء ، لأن قبله واواً ..." (٢٩) .

واما البيت الثاني فهو المرقم (٣١) قال:

وخامرتْ نفسُ أبي الجبر الجوى حتى حواه الحتف فيمن قد حوى (٣٠) .

قال ابن خالويه (٣١) " الجوى : داء في الجوف يكتب بالياء ، للواو قبله ، فأما الجواء بالمد وكسر الجيم فبالالف وهو اسم موضع ، قال أمرؤ القيس (٣٢) :

كأن مكاكيّ الجواء عشـــيةً صبُحن سُلافاً من رحيق مُفلفلِ

والاتفاق بين الشرحين جليّ ، الا ان ابن خالويه ذكر لـ (الجوى) معنيين – وان كان كل منهما دالاً على الداء – أحدهما داء في الجوف ، والآخر داء في القلب ، وهذا المعنى ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) لـ (الجواء) – بالكسر والمد – فضلاً عن معان أخرى من باب (المشترك اللفظي) فقال :

" الجواء : الشعاب ، والجواء : موضع ، والجواء : وجع الكبد ، وقيل : داء القلب ، والجواء : جوز الهند " (٣٣) .

الحيا والحيـــاء :

قال ابن دريد :

إن الحـياة مـــع الحيـــا فَصِلِ السّماحةَ بالحياء (٣٤) .

وقال الشارح : " الحيا مقصور : المطر يكتب بالالف ، والحياء ممدود على وجهين أحدهما : من الاستحياء ، والثاني : حياء الناقة والبقرة وهو فرجها " (٣٥) .

وقال ابن دريد في مقصورته (٣٦) :-

وأجريا ماء الحيا لي رغدا فأهتزّ غُصني بعدما كان ذوى

ووقف ابن خالويه عند (الحيا) فقال (٣٧) : " الحيا مقصور : المطر والخصب يكتب بالالف ، كراهية ان يجتمع ياءان ، ولولا ذلك لكتب بالياء ، وتثنية الحيا : الحييان ، وجمعه : أحياء ... والحياء بالمد : فرج الناقة ، وجمعها : أحيية، وأحيّة ، والحياء بالمد : من الاستحيا ،لا يثنى ولا يُجمع لأنه مصدر، ويُنشد (*) :

أعاذلتي قد حويتِ حبيبـــي ومات الغيّ وانكشف الغطاءُ

وما في أن يعيش المرء خيرٌ إذا ما المرء زايله الحيـــاءُ

وقيل (٣٨) في قوله تعالى : " ولباس التقوى" (٣٩) : الحياء ... وعن انس بن مالك، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " أن لكل دين خلقاً ، وخُلق هذا الدين الحياء " . وعند المقارنة بين الشرحين يتضح ايجاز الانباري ، في حين نجد ابن خالويه مضمّنا الشرح فوائد لغوية: املاءً وكتابةً ، وافراداً وتثنيةً ، وجمعاً ، وفي اشارته الى الجمع يبين جمع ما كان مقصوراً وما كان ممدوداً ، كما أن ما كان ممدوداً لا يُجمع مطلقاً ، لأن (الحياء) اذا قصد به المصدر لا يُجمع ، فدلالة المفردة تؤثر في صيغة جمعها . كما ضمّن ابن خالويه شرحه آية من القرآن الكريم ، وحديثا للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والشعر .

الذكـا والذكـاء :

قال ابن دريد :

وأهـربْ هُديتَ من الذكـــا إن كنت من أهـــــل الذكاء (٤٠)

وقال الانباري : " الذكا مقصور : التهاب النار ، يكتب بالالف لأنه من ذكت تذكو . والذكاء ممدود : الفطنة والفهم" (٤١) . وقال ابن دريد في المقصورة :-

مَنْ ضَيّع الحزمَ جنى لنفسـه ندامةً الذع من سفـع الذكـــا (٤٢)

وشرحها ابن خالويه مبيناً دلالة الممدود منها ، فقال (٤٣) " والذكا : النار ، مقصور ، تكتب بالالف لأنه من ذكا يذكو ، فاما الذكاء في الفهم فممدود ، وهو مشبه بذكا النار ، كأن صاحبه يلتهب كشعلة النار من

ذكائه وحدة مزاجه ، ويقال : ذكا ذكوةً ،وسمّيت الشمس : ذكاء لأنها تلتهب كالنار ، ويقال للصبح : ابن ذكاء ، وأنشد :

*** وابن ذكاءٍ كامنٌ في كفرِ ***

والذكاء أيضاً ممدود: تمام السن، يقال : ذكا فلان: أذا أسن، وأنشد قول الفرزدق يهجو جريراً[٤٤] :-

رأيتُ ابن المراغة حين ذكى تحول غير لحيته حمـارا

وقال زهير [٤٥] :-

يُفضّله اذا اجتهدا عليـــــه تمام السن منه والذكـــاءُ

ولا يخفى الفرق بين الشرحين ، اكتفاء الانباري بدلالة المفردة في السياق ، فـ (ذكاء): الفهم والفطنة، وتجاوز ابن خالويه ذلك فذكر دلالتين ، فضلاً عن هذه الدلالة ، افصح عنهما السياق ، كالشمس التي من أسمائها (ذكاء) ، معللاً ذلك ومبيناً العلاقة بين الدلالتين ، الاصلية التي اشتقت منها الكلمة (التهاب النار) ، والجديدة (الشمس) ، وكذلك (الفهم أو حدة المزاج) ، والدلالة الأخرى التي ذكرها ابن خالويه (تمام السن) مستشهداً بالشعر في توجيه دلالالته .

السّنا والسّناء :

قال ابن دريد :

زال السّنا عن ناظريــ ـه فزال عن شرف السّناء [٤٦]

وقال الانباري : [٤٧] " السنا مقصور : ضوء البرق ، والنار ، يكتب بالالف . والسنا ممدود : المجد والرفعة . والأول الشاهد فيه قوله تعالى { يكاد سنا برقه }[٤٨] .

ووردت كلمة (سنا) في أثناء بيت في مقصورة ابن دريد ، قال :

واذا اجتهدتَ نظراً في إثره قلتَ : سنا أومض أو برقٌ خفا [٤٩]

وشرحها ابن خالويه : " والسنا : ضوء البرق مقصور ، قال الله عز وجل { سنا برقه يذهب بالابصار}ويكتب بالالف وتثنيته سنوان . والسناء بالمد : المجد والشرف " [٥٠] والتشابه ظاهر بين الشرحين دلالةً وشاهداً . قد ذكرت دلالات اخرى لـ (السّنا) تُعد من (المشترك اللفظي) ومن ذلك ما جاء به ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، قال : " السنا : الضوء ... والسنا : المشرق ، والسنا : نبت يدخل في بعض الأدواء "[٥١].

العشا والعشاء :

قال ابن دريد :

وأرى العشا في العين أكـــ ثر ما يكون من العَشاء [٥٢]

وجاء في شرح الانباري : " العشا مقصور في العين يكتب بالالف . والعشاء ممدود : الظلام ، ظلام الليل " [٥٣] وفي المقصورة يقول ابن دريد في (عشا) :

وهو من الغفلة في أهويةٍ كخابط بين ظلام وعشى [٥٤]

وفيها يقول ابن خالويه [٥٥] : " والعشا يكتب بالالف لأنه من عشا يعشو ، وامرأة عشواء ، والعشاء : طعام العشاء ، لذلك سمي العشا في العين ، ويقال : عشاه يعشوه بمعنى : عشاه ، وعشى الرجل يعشى اذا عمش ، وعشا يعشو اذا عمي ، قال الله تعالى : { ومن يعشُ عن ذكر الرحمن }[٥٦] أي : يعمى ... وقد عشا يعشو وذلك اذا كان يستضيء ببصر ضعيف في ظلمة ، ومنه قول الحطيئة :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خيرُ موقد [٥٧]

ووردت (عِشاء) بالكسر والمد في بيت آخر لابن دريد في مقصورته ، قال :

وطارقٍ يؤنسه الذئب إذا تضوّر الذئب عِشاء أو عوى [٥٨] .

وقال ابن خالويه [٥٩] : " عِشاءً : أي وقت العشاء ، وهو المغرب ، وهما عِشاءان الأول والآخر ، وهو الذي يسميه الناس العتمة ... والعِشاء أيضاً : صلاة العشاء قال عديّ في العِشاء الوقت :

أبصرتْ عيني عِشاء ضوء نارِ من سناها عَرْفُ هنديّ وغار [٦٠] .

يتضح منهج ابن خالويه في شرحه للمفردة ، فهو يقف عند أصلها الاشتقاقي ويربط ذلك بدلالتها في السياق ، ويبين أثر الحركة في تغيير دلالتها ، فدلالة (عشاء) بالفتح والمد غيرها بالكسر ، ويحتج بشواهد من الآيات القرآنية ، أو الشعر ، و (يعشو) في الآية الكريمة التي أحتج بها على مجيء (عشا) بمعنى عمي لها تفسير آخر فقد فسّرها آخرون بالاعراض عن ذكر الله ، ومن يعرض عن ذكر الله فقد ضعف بصره وصار كنظر من قد عشي [٦١] ، كما ذكر ابن خالويه دلالة أخرى لـ (عشاء) – بالكسر – وهي : صلاة العشاء ، وهذه الدلالة ليست ببعيدة عن الدلالة الاصلية (المغرب) .

القلى والقــلاء :

قال ابن دريد :

حبُ الفساد الى قِلى وأرى الفساد الى قَلاء [٦٢]

قال الانباري : " القلى بكسر القاف مقصور ، فاذا فتحت قافه مددته " [٦٣] .

وفي المقصورة وردت (قِلى) – بالقصر – في ثلاثة أبيات ، سنذكرها مع شرحها :

أ- في البيت المرقم (٥٧) جاء الفعل (قلى) – بالفتح والقصر – قال :-

وراح للتوديع فيمن راح قد أحرز أجراً وقلى هُجْر اللغا (٦٤)

وقال ابن خالويه في شرحه : " وقلى : أبغض ، يقال قليته اقليه ، وقليته أقلاه ، ... قال الله تبارك وتعالى : **{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}** (٦٥) ، وقال الشاعر وهو أبو محمد الفقعسيّ :-

*** يقلي الغواني والغواني تقلبه ***

والمصدر : قلاه يقليه قِلى ، بكسر القاف والقصر ، وقلاه يقليه قلاء – بفتح القـــاف والمد ...) (٦٦) .

ب- في البيت المرقم (٨٩) ورد المصدر (قِلى) بالكسر والقصر ، قال :-

إن العراق لم افارق أهله عن شنأ أصدني ولا قِلى (٦٧)

وقد أوجز ابن خالويه في شرحه ، محيلاً الى تفسيره السابق ، قال : ولا قِلى : أي لا بُغض ، تكتبه بالياء ، وقد فسرته فيما سلف " (٦٨) .

ج- في البيت المرقم (١٠٦) ورد المصدر (قِلى) أيضاً ، قال ابن دريد :

إن الألى فارقت عن غير قِلى ما زاغ قلبي عنهم ولا هفا

وجاء شرحه موجزاً كذلك (٦٩) .

والملاحظ في أبيات القصيدتين وشرحها أن الأنباري لم يوضح دلالة الكلمتين (قِلى وقلاء) بل أشار فقط الى أن الأولى مكسورة القاف مقصورة والثانية مفتوحتها ممدودة ، في حين نجد أن ابن خالويه قد شرحهما مبيناً دلالتهما مع الشواهد الفصيحة .

المَـلا والمَـلاء :

قال ابن دريد:

ولربما ضاق المَـــلا بالمجرمين من المَلاءِ (٧٠)

وقال الانباري : " الملا مقصور : ما أتسع من الأرض ، والملاء ممدود : قولك هو مليء بيّن الملاء " (٧١) .

ووردت (الملا) – بالقصر – في مقصورة ابن دريد ، قال (٧٢) :-

سقى العقيق فالحزيزفالملا الى النحيت والقُريّات الدنى

وشرحها ابن خالويه ، فقال : " والملا : الصحراء غير مهموز ، والملا : الليل ، والملا : النهار ، وهما الملوان ..." (٧٣) وهنا ابن خالويه شرح المقصور (ملا) ولم يذكر ممدودة ، ونجده غالباً – يذكر الممدود لما كان مقصوراً من المفردات التي ترد في مقصورة شيخه – ابن دريد – وقد تبينت ثلاث دلالات لـ

(ملا) : " الصحراء أو (ما أتسع من الأرض) ، والليل والنهار ، والدلالتان الاخيرتان بينهما تضاد ، فاليل والنهار من الاضداد ، وهذا مما لم يرد في أضداد الانباري ، كما أشار ابن خالويه الى تثنية (ملا) : ملوان ، ويراد بهما الليل والنهار وهذا مثنى تغليبيّ ، ومنه البرْدان : برد العافية ، وبرد الغنى [٧٤] .

النّجا والنّجاء :

قال ابن دريد :

لو تعلمُ الشاة النجا منها لجدّتْ في النجاء [٧٥]

وقال الانباري : " النجا مقصور ما القيته عن الرجل من لباس أو سلختــه عن الشاة والبعير ، يكتب بالالف . والنجاء ممدود على وجهين : احدهما سرعة السير ، والثاني : السلامة " [٧٦] . والكلمتان (النجا والنجاء) لم تردا في بيت واحد عند الانباري في مقصورته ، وانما وردت كل واحدة منهما في بيت ، فقد جاءت كلمة (النجا) في البيت المرقم (١٨٢) وأراد بها الفعل ، قال :

وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا [٧٧]

أما (النجاء) فقد جاءت في البيت المرقم (٤٤) ، قال :-

أليّةً باليعملات يرتمـــي بها النجاءُ بين أحواز الفلا [٧٨]

وكان شرح ابن خالويه لهما كما يأتي :

النجا :(ونجا يكتب بالالف لانه من ذوات الواو، نجا ينجو ، والنجاء يُمدّ ويُقصر ، يقال النجاء النجاء ، والوحا الوحا ، أي أنجُ أنجُ ... وقد يقال : النجاك النجاك فيدخلون الكاف للخطاب، والنِجاء بكسر النون والمد : جمع نجوة وهو السحاب ، والنِجاء أيضاً : مصدر ناجيتُ زيداً أناجيه مناجاةً ونِجاءً : اذا سررته ...) [٧٩] . فالفعل (نجا) له دلالات مختلفة تُدرك من السياق ، ومن تلك الدلالات ما ذكره ابن خالويه مستشهداً بالشعر ، يقول : " ويقال : نجوتُ الرجل : اذا القيتُ ما عليه من اللباس ، قال الشاعر يصف ناقةً نحرها للضيفان :-

فقلت : أنجو عنها نجا الجلد إنهُ سيُرضيكما منها سنامُ وغاربُه [٨٠]

ويُقال: نجوتُ الرجل اذا استنكهته ، قال الشاعر يهجو رجلاً بالتبخر :

نجوتُ مُجالداً فشممتُ منه كريح الكلب مات حديث عهدِ [٨١]

ونجا زيدٌ ينجو اذا قضى حاجته من الخلا ، ... " [٨٢] .

النجاء: وقد أوجز ابن خالويه في شرحها في هذا الموضع ،فقال :"والنجاء :السرعة"[٨٣] وقد تبيّن في عرضنا لـ (نجا) انه ذكر تفصيلات أخرى ، كاختلاف حركة الفاء ، فـ (النجاء) بالكسر تأتي مصدراً ، وجمعاً لـ (نجْوة) .

النـهى والنهاء :

قال ابن دريد :

إن النـهى ينـهي الكرا م عن احتسام في النُّهاء [٨٤]

ولم يتعرض الانباري لشرح هذا البيت في كتاب (غاية المقصود) اما محققــه الاستاذ هلال ناجي فقال : البيت اخلّ به ديوان ابن دريد ، ولا وجود للنُهى والنهاء عند الفراء والوشاء " [٨٥] ، أي ان المادة غير موجودة عند الفراء في كتابه (المقصور والممدود) وعند الوشاء أبي الطيب محمد بن احمد (ت ٣٢٥ هـ) في كتابه الممدود والمقصور) . وفي مقصورة ابن دريد يقول :

وقد علت رُتباً تجاربي أشفين بي منها على سُبْلِ النهى

وشرح ابن خالويه (النهى) قائلاً : " والنُهى : العقول ، تكتبها بالياء لأن الواحدة : نُهية ، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : " ليليني منكم أولو الاحلام والنهى " وقال الله تبارك وتعالى : { إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى} [٨٦] . أما الممدود (النهاء) فلم يُشر ابن خالويه اليه ، كما لم يرد في مقصورة ابن دريد ، بل ورد في (الجمهرة) بالكسر ، قال : " والنهاء : الزجاج ، ولم يجيء الا في بيت واحد " [٨٧] . وهذا البيت ورد في المقاييس لاحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) مجهول القائل :-

ترُضّ الحصى أخفافهُنّ كأنما يُكسّرُ قيضٌ بينها ونِهاءُ

فال ابن فارس : " ويُقال ان نِهاء النهار : ارتفاعه ، فان كان هذا صحيحاً فـلان تلك غاية ارتفاعه ، ومما شذ عن هذا الباب ، إن صحّ ، يقولون : النِهاء : القوارير ، وليس كذلك عندنا " [٨٨]

الورى والوراء :

قال ابن دريد :

عقلُ الكبير من الورى في الصّالحات من الوراء [٨٩]

قال الانباري : " الورى مقصور ينقسم على قسمين ، أحدهما الورى : الخلق ، والثاني : الورى داء يصيب الرجل والبعير في جوفه . والوراء ممدود ينقسم على ثلاثة أقسام أولها : وراء بمعنى خلف ، تقول

العرب : وراءك ، أي خلفك ، وثانيها : بمعنى امام ، كقوله تعالى : {مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ }[٩٠] وثالثها : الوراء : ولد الولد ، كقوله تعالى: **{وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ}**[٩١].

وقال ابن دريد في مقصورته :

ولا اطبي عينيّ مُذ فارقتهم شيء يروقُ الطرف من هذا الورى [٩٢]

وقال ابن خالويه في شرح (الورى) [٩٣] : " والورى هاهنا : الخلق ، ... ويكتب الورى بالياء للواو قبله . قال الفراء : الورى داء في الجوف ، وخطأه سُائر الناس ، فقالوا : انما هو الوَرْى باسكان الراء ، قال ابو عبد الله بن خالويه : قد وجدت للفراء حُجة ، انّ الفراء سمع الورى بفتح الراء في سجع يقال ، وهو ان العرب تقول للرجل اذا دعوا عليه : (به الورى ، وبغيه البرى ، وحُمى خيبرى ، وشر ما يُرى ، فانه خيسرى " وقال الشاعر حجة لمن سكّن الراء :

قال له وريا اذا تبحبحْ ياليتهُ يسقى على الذر حْرَحْ

فالشارحان لم يخرجا عن الدلالتين لـ (ورى) : الخلق والداء ، غير ان ابن خالويه عرض رأياً للفراء في (الورى) بفتح الراء وقد خُطيء ، إذ إنّ الصواب إسكانها ، ووجد ابن خالويه حجّة تؤيد رأي الفراء بان الكلمة وردت في سجع تقوله العرب ، ثم جاء بشاهد على اسكان الراء على الأصل . أما شرحه لـ (الوراء) فقد اتفق فيه مع الانباري ، قال : " فأما الوراء بالمد ، فثلاثة أشياء : الوراء : للقدام ، والوراء : للخلف ، والوراء : ولد الولد ، قال الله تبارك وتعالى : **{وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ}** " اي : ولد الولد وأقبل الشعبي ومعه ابنُ ابنٍ له ، فقيل له : أهذا ابنك ؟ فقال : هذا أبني من الوراء ... " [٩٤] ومن الجدير بالإشارة أن المعنيين : امام أو (قُدام) وولد الولد ، لم ينفرد بهما الانباري ، كما نوّه بذلك الاستاذ هلال ناجي [٩٥] بل انفرد بواحد منهما وهو (أمام) ، لأن ابا عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) قد سبقه في المعنى الآخر (ولد الولد) قال في (كتاب الاجناس) : " الوراء : وراء الانسان ، والوراء : ولد الولد " [٩٦] والمعنيان لـ (الوراء) بمعنى أمام أو (قُدام) ، وبمعنى : الخلف ، من الاضداد [٩٧] التي لم ترد في كتاب الانباري (الاضداد) على الرغم من ذكره لهذين المعنيين في هذا المقام .

هذه أمثلة في المقصور والممدود في قصيدتي ابن دريد وشرحيهما ، وهناك كلمات مقصورة وردت في قصيدته القصيرة (ذات الاربعة والخمسين بيتاً) لم أجدها في قصيدته الأخرى كالذمى – وهو الرائحة المنتنة [٩٨] – والحفا – مشي الانسان بغير حذاء [٩٩] والإيا – بكسر الهمزة والقصر – ضوء الشمس [١٠٠] والأضا – بفتح الهمزة والقصر – الغُدران [١٠١] وغيرها .

الهوامـــش

١- ينظر : الفكر الصوتي عند ابن دريد (بحث) .

٢- ينظر : انباه الرواة ١ / ٣٢٤ ، ومعجم الادباء ١ / ٢٧١ – ٢٧٢ .

٣- شرح المقصورة ١٥٧ .

٤- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٥- ينظر : ديوان ابن دريد (ص ٢٩ – ٣٧) وفيه عدد الأبيات سبعة وخمسون بيتاً .

(*) كما شرحها آخرون كالسيرافي ، وابن جني ، والتبريزي (ينظر : شرح المقصورة لابن خالويه ص ١٠٠ – ١٠٢) .

٦- غاية المقصود (مقدمة المحقق ص ٧) .

٧- غاية المقصود ٢٣ ، وديوانه ٣١ .

٨- غاية المقصود ٢٣ .

٩- شرح المقصورة ٢٣٣ .

١٠- المصدر نفسه ٢٣٥ ، وينظر : فقه اللغة للثعالبي ٢٥ .

١١- غاية المقصود ٢٦ ، وديوانه ٣٤ ، وفيه :

ولربّ مهجور البنا بعد التأنق في البناء

١٢- غاية المقصود ٢٧ .

١٣- سورة البقرة ٢٢ .

١٤- شرح المقصورة ٢١٧ .

١٥- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

١٦- غاية المقصود ١٩ ، وديوانه ٢٩ .

١٧- غاية المقصود ١٩ .

١٨- شرح المقصورة ١٦٣ .

١٩- المصدر نفسه ١٦٤ – ١٦٥ .

٢٠- ديوان حاتم الطائي ٥١ .

٢١- ينظر : الاضداد للانباري ، والاضداد لابي الطيب اللغوي .

٢٢- غاية المقصود ٢٤ ، وديوانه ٣٢ ، وفيه :

فأرغب لربك في الجدا ما أنت عنه ذو جداء

٢٣- غاية المقصود ٢٤ .

٢٤- شرح المقصورة ٣٣٠ .

٢٥- المصدر نفسه والصفحة نفسها وينظر فروق اللغات ٢٤٣ .

٢٦- غاية المقصود ٢٩ (وهذا البيت خلا منه ديوانه) .

٢٧- غاية المقصود ٢٩ .

٢٨- شرح المقصورة ١٦٣ .

٢٩- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٣٠- المصدر نفسه ١٩٦ .

٣١- المصدر نفسه ١٩٦ – ١٩٧ .

٣٢- ديوان أمريء القيس ٣٧٦ وفيه :

غديةً ..... ورحيقاً من سُلاف

٣٣- كتاب الاجناس ١٤ .

٣٤- غاية المقصود ٢٢ ، وديوانه ٣٠ وفيه : **..... وأرى البهاء مع الحياء**

٣٥- غاية المقصود ٢٢ – ٢٣ .

٣٦- شرح المقصورة ٢٨٣ .

٣٧- المصدر نفسه ٢٨٤ – ٢٨٥ ، وينظر : ٣٢٦ .

٣٨- ينظر : تفسير الطبري ٨ / ١٤٩ .

٣٩- سورة الاعراف ٢٦ .

٤٠- غاية المقصود وديوانه ٣٢ وفيه : **فأهدأ هُديت الى الذكا .....**

(*) في البيت الأول خلل عروضي بيّن

٤١- غاية المقصود ٢٤ .

٤٢- شرح المقصورة ٣٨٣ .

٤٣- المصدر نفسه ٣٨٥ .

٤٤- ديوان الفرزدق ٤٤٦ .

٤٥- ديوان زهير (شرح) ٦٩ (وفيه : اجتهدت)

٤٦- غاية المقصود ٢١ ، وديوانه ٢٩ .

٤٧- غاية المقصود ٢١ .

٤٨- سورة النور ٢٤ .

٤٩- شرح المقصورة ٢٥٤ .

٥٠- المصدر نفسه .

٥١- كتاب الاجناس ١٨ – ١٩ .

٥٢- غاية المقصود ٢١ ، وديوانه ٣٠ .

٥٣- غاية المقصود ٢٢ .

٥٤- شرح المقصورة ٢١ ، وديوانه ٣٠ .

٥٥- المصدر نفسه ٤١٠ – ٤١١ .

٥٦- سورة الزخرف ٣٦ .

٥٧- ديوان الحطيئة ١٦١ .

٥٨- شرح المقصورة ٤٨٥ .

٥٩- المصدر نفسه ٤٨٧ ، وينظر : الرسالة التامة في فروق اللغة العامة ٢٥٩ .

٦٠- ديوان عديّ بن زيد ٩٣ .

٦١- ينظر : تفسير الطبري ٢٥ / ٧٢ – ٧٣ .

٦٢- غاية المقصود ٢٨ ، وديوانه ٣٥ وفيه :

حبّ النساء الى قِلى وأرى الصلاح مع القلاءِ

٦٣- غاية المقصود ٢٨ .

٦٤- شرح المقصورة ٢٢٥ .

٦٥- سورة الضحى ٣ .

٦٦- شرح المقصورة ٢٢٥ .

٦٧- شرح المقصورة ٢٧٥ .

٦٨- المصدر نفسه ٢٧٦ .

٦٩- ينظر : المصدر نفسه ٢٩٨ .

٧٠- غاية المقصود ٢١ ، وديوانه ٣٢ وفيه :

سيضيق متسع الملا بالمخرجين من الملاء

٧١- غاية المقصود ٢١ .

٧٢- شرح المقصورة ٣٠٦ .

٧٣- المصدر نفسه ٣٠٧ .

٧٤- ينظر : كتاب المثنى ٣٢ .

٧٥- غاية المقصود ٢٢ ، وديوانه ٣١ .

٧٦- غاية المقصود ٢٢ .

٧٧- شرح المقصورة ٤٣٠ .

٧٨- المصدر نفسه ٢١٠ .

٧٩- المصدر نفسه ٤٣٢ – ٤٣٣ .

٨٠- ينسب لعبد الرحمن بن حسان ولغيره ، ينظر : الخزانة ٢ / ٢٢٧ ، واللسان (نجا)

٨١- ينظر : اللسان (نجا)

٨٢- شرح المقصورة ٤٣٣ .

٨٣- المصدر نفسه ٢١١ .

٨٤- غاية المقصود ٢١ .

٨٥- المصدر نفسه هامش (٥) .

٨٦- سورة طه ٥٤ .

٨٧- الجمهرة ٢ / ٩٧٧ .

٨٨- مقاييس اللغة ٥ / ٣٦٠ .

٨٩- غاية المقصود ٢٢ ، وديوانه ٣١ .

٩٠- سورة ابراهيم ١٦ .

٩١- سورة هود ٧١ .

٩٢- شرح المقصورة ٢٧٦ (والبيت فيه خلل عروضي بيّن) .

٩٣- المصدر نفسه ٢٧٧ – ٢٧٨ .

٩٤- المصدر نفسه ٢٧٨ .

٩٥- ينظر غاية المقصود ٢٢ (هامش ٥) .

٩٦- كتاب الاجناس ٣٩ .

٩٧- ينظر : الاضداد في كلام العرب ٢ / ٦٥٧ .

٩٨- ينظر : غاية المقصود ٢١ .

٩٩- ينظر : المصدر نفسه .

١٠٠- ينظر : المصدر نفسه ٢٨ .

١٠١- ينظر : المصدر نفسه ٢٩ .

المصادر والمراجــع

- القرآن الكريم
- كتاب الاجناس في كلام العرب وما أشتبه في اللفظ وأختلف في المعنى / لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، دار الرائد العربي – بيروت ، ١٩٨٣ .
- الاضداد / محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨ هـ) عني بتحقيقه محمد ابو الفضل ابراهيم ، ٢م ، ط / ٢ ، ١٩٨٦ .
- الاضداد في كلام العرب / لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) تحقيق : د. عزة حسن ، دمشق ، ١٩٦٣م .
- انباه الرواة على انباء النحاة / للقفطي (ت ٦٤٦ هـ) تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠ .
- جامع البيان عن تأويل أي القرآن / لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، ط/٣ ، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٦٨م .
- الجمهرة / لأبن دريد (ت ٣٢١ هـ) حققه وقدم له : د. رمزي منير بعلبكي – دار العلم للملايين ، ط / ١ ، ١٩٨٧ .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية / للشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) ط/١ ، المطبعة المنيرة بيولاق (د.ت) .
- ديوان أمريء القيس / تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط / ٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤م .
- ديوان حاتم الطائي / دار صادر للطباعة والنشر – دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م .
- ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني / تحقيق نعمان أمين طه ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاد بمصر ، ط / ١ ، ١٩٥٨م .
- ديوان زهير بن أبي سُلمى (شرح) / صنعه الامام ابي العباس ثعلب ، الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة (د.ت) .
- ديوان شعر الامام ابي بكر بن دريد الازديّ (ت ٣٢١ هـ) جمع وتحقيق : محمد بدر الدين العلويّ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٦م .
- ديوان عدي بن زيد العبادي / حققه وجمعه : د. محمد جبار المعيبد ، سلسلة كتب التراث (٢) ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م .

- ديوان الفرزدق / علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط / ١ ، ١٩٨٧م .
- الرسالة التامة في فروق اللغة العامة / الشيخ محمد جعفر الكرباسي ، ط / ١ ، بغداد ، ٢٠٠٩.
- شرح مقصورة ابن دريد / لأبي عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) تحقيق ودراسة : د. محمود جاسم الدرويش ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠م .
- غاية المقصود في المقصور والممدود – القصيدة لابن دريد(ت ٣٢١ هـ) ، والشرح للانباري (ت ٣٢٨ هـ) تحقيق : الاستاذ هلال ناجي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط / ١ ، ١٩٩٩ .
- فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات /نور الدين الجزائري / تحقيق : محمد رضوان الداية ، ط/١ ، ٢٠٠٣م .
- كتاب فقه اللغة وأسرار العربية / لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (د.ت) .
- الفكر الصوتي عند ابن دريد (بحث) د. خليل ابراهيم العطية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ع١٦ ، ١٩٨٠م .
- لسان العرب / ابن منظور (٧١١ هـ) دار صادر – بيروت (د.ت) .
- المثنى / لأبي الطيب اللغويّ (ت ٣٥١ هـ) تحقيق : عز الدين التنوخي ، دمشق ، ١٩٦٠م .
- معجم الأدباء / ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر (الطبعة الأخيرة) .
- معجم مقاييس اللغة / لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٦٩م .